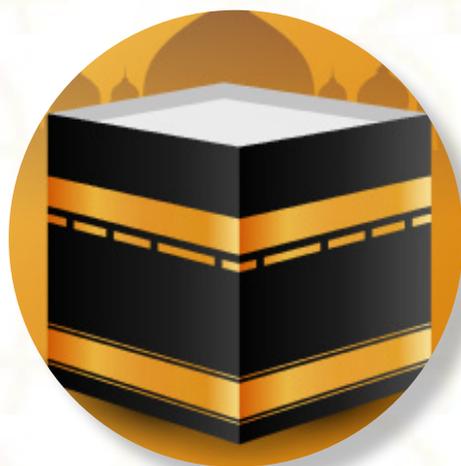


(من كتاب الحج وروح العبادة فيه)

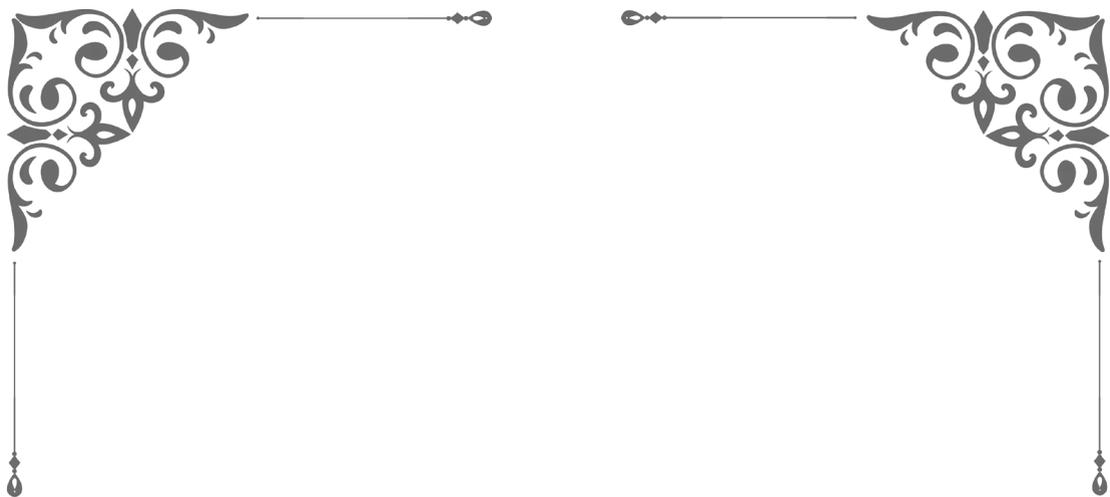
(١٧)

الحج وعبودية الذكر

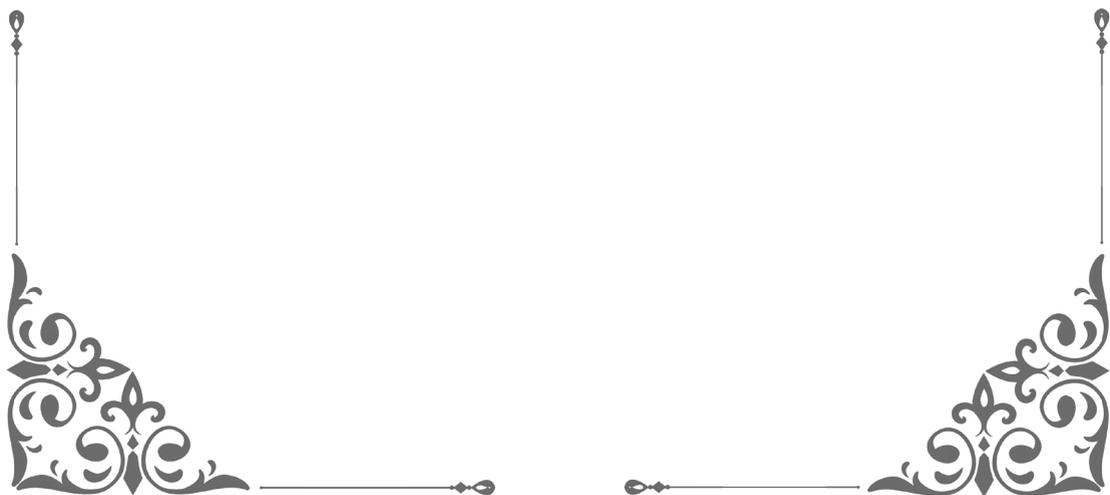


تأليف

عادل بن عبد العزيز الجهني



محفوظ جميع الحقوق





بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إنك إذا تأملت الآيات في ذكر الحج والأحاديث، تجد الحث
 فيها على ذكر الله بيناً واضحاً، قال الله تعالى: ﴿فَإِذَا أَفَضْتُمْ
 مِنْ عَرَفَاتٍ فَأذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا
 هَدَانَكُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الضَّالِّينَ ﴿١٩٨﴾ ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ
 أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٩٩﴾ فَإِذَا قَضَيْتُمْ
 مِنْسِكَكُمْ فَأذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا ﴿٢٠٠﴾ (١).

وقال سبحانه: ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ
 يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ لِيَشْهَدُوا مَنَفِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي
 أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ ﴿٢٨﴾ (٢).

يقول ابن القيم عن الذكر في الحج: (هو روح الحج ولبه

(١) [سورة البقرة: الآيات ١٩٨-٢٠٠]

(٢) [سورة الحج: الآيات ٢٧، ٢٨]



ومقصوده، كما قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إنما جعل الطواف بالبيت والسعي بين الصفا والمروة ورمي الجمار لإقامة ذكر الله" (١).

فالحثُّ على ذكر الله في الحجِّ جاء في جميع مواطنه، فإذا أحرم الحاجُّ ذكر الله بالتلبية وأكثر منها، وأمضى وقته بها حتى يبدأ بالطواف، وإذا طاف انشغل بالذكر والدعاء حتى ينتهي منه، وإذا بدأ بالسعي بدأ بشهادة التوحيد والتكبير والدعاء، وكان في سعيه كله ذاكرًا ربَّه حتى ينتهي منه.

وخير ما يمضي به الحاجُّ وقته في يوم التروية ويوم عرفة هو الذكر والدعاء، وهكذا في مزدلفة، فقد ذكر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ربَّه حتى أسفر جدًّا، وأمر الله بذكره في هذا الموطن على الخصوص.

ويمضي إلى الجمرات ملبيا، ويرميها مكبرا، ويبقى في منى أيام التشريق ذاكرًا ربَّه كثيرا.

(١) [مدارج السالكين: ٢ / ٣٩٩]



كُلُّ هَذَا وَغَيْرِهِ يَجْعَلُكَ تَوْقِنَ بِأَهْمِيَةِ الذِّكْرِ فِي عِبَادَةِ الْحَجِّ،
وَأَنَّهُ فِي الْمَنْزِلَةِ الْعَلِيَّةِ مِنْهُ، وَأَنَّ اللَّهَ أَحَبُّ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ يَذْكُرَهُ كَثِيرًا
فِيهِ، فَلِذَا جَعَلَهُ فِي جَمِيعِ مَنَاسِكِهِ، وَحَثَّ عَلَيْهِ، وَرَتَّبَ عَلَيْهِ أَعْظَمَ
الْأَجُورِ.

**إِنَّ الْحَاجَّ الْمَعْتَنِي بِشَأْنِ الذِّكْرِ قَدْ عَلَّقَ قَلْبَهُ بِرَبِّهِ، وَأَثْنَى بِهِ
عَلَيْهِ،** وَعَرَفَ مِنْ خِلَالِهِ فَضْلَهُ، وَكَانَ ذِكْرُهُ الْكَثِيرَ سَبِيلًا لِاتِّقَانِ
هَذِهِ الْعِبَادَةِ، وَإِيقَاعِهَا عَلَى أَكْمَلِ وَجْهِهِ، فَلِلذِّكْرِ تَأْثِيرُهُ الْكَبِيرَ فِي
حُضُورِ الْقَلْبِ فِي الْعِبَادَةِ، وَوُجُودِ حَلَاوَتِهَا، خُصُوصًا إِذَا كَانَ
الذَّاكِرُ حَاضِرَ الْقَلْبِ فِيهِ.

**وَأَعْظَمُ الذِّكْرِ شَهَادَةُ التَّوْحِيدِ (لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ) فَيُلْهَجُ بِهَا اللِّسَانُ
كَثِيرًا،** تُذَكِّرُهُ بِعِظْمَةِ اللَّهِ وَوَحْدَانِيَّتِهِ، وَوَجُوبِ إِخْلَاصِ الْعَمَلِ لَهُ،
فَيَتَوَجَّهَ بِقَصْدِهِ إِلَى اللَّهِ، غَيْرَ مُلْتَفِتٍ لغيرِهِ، وَهَذَا أَعْظَمُ مَا يَكُونُ
مِنْهُ، فَالْإِخْلَاصُ فِي الْعِبَادَةِ هُوَ لُبُّهَا، وَمَا أُمِرَ الْعِبَادُ إِلَّا بِالتَّوْحِيدِ
وَقَصْدِ اللَّهِ فِي أَعْمَالِهِمْ.

**وَإِذَا سَبَّحَ اللَّهُ نَزَّهَهُ عَنِ كُلِّ وَصْفٍ لَا يَلِيْقُ بِهِ، وَوَصَفَهُ بِالْكَمَالِ
المطلق.**



وإذا حمده تذكّر فضله عليه، وأثنى عليه بما هو أهله، فهو الذي تفضّل بما شرع، وهو الذي أحسن بتيسير هذه العبادة، وهياً أسبابها، وسهّل طريقها، فله الفضل أولاً وآخراً، وظاهراً وباطناً.

وما تقرب المتقربون لربهم بمثل دوام الذكر، ولذا قال شيخ الإسلام رَحْمَةُ اللَّهِ: (ومما هو كالإجماع بين العلماء، أن أفضل الأعمال ذكر الله).

والذكر وسيلة لحياة القلب، وتهذيب النفس، وتزكية الفؤاد، ويجلب لقلب الذاكر الفرح والسرور، والراحة والطمأنينة، ويزداد معه حبّ الله، وحبّ طاعته، ويجد الذاكر في وقته من البركة ما لا يجده غيره، ويزوق من لذة العبادة ما لا يدركه سواه، ولذا يفتقد كثيرٌ من الحجاج لذة الحجّ لتقصيرهم في عبادة الذكر.

وكثرة الذكر تحتاج إلى تعويد النفس وتصويرها وحبسها عليه.

ومن أعظم الذكر تلاوة القرآن، فينبغي للحاجّ أن يكون له شأن آخر معه، ولقد كان كثيرٌ من السلف يوصون بختم القرآن في الحجّ، وورد عن جمع منهم أنّهم كانوا يختمون القرآن في حجّهم، ولهم في ذلك أحوال عجيبة.



وختَمُ القرآن في الحجّ أفضل من غيره لفضل المكان وشرف الزمان، ولأنّ الحاجّ في حال الإحرام، وهو أمر يسير لمن عزم عليه، وجدّ واجتهد، فاحرص على هذا أيّها الموفق.

ومن تأمّل في أحوال بعض الحُجّاج يرى التفریط ظاهرًا في تضييع الأوقات، والغفلة عن ذكر الله، فينبغي الحذر من هذا، وأخذ النفس بالجدية في هذا الشأن، فالحاجُّ إنّما خرج من بيته يتبغى وجه ربه ويرجو فضله، وهو في أماكن مباركة وأحوال شريفة، ينبغي أن يكون فيها شحيحًا بوقته، غير مضيع له، وأعظم سبيل لإدراك ذلك هو كثرة الذكر، فبه - كما تقدّم - يكمل الحجّ، ويكثر الأجر، وتعظم العبادة، وتقع المواقع الأمثل منها، ولا يعني ذلك عدم الترويح عن النفس، ومؤانسة الرفقة، وملاطفة الحُجّاج، وإنّما المقصود العناية بشأن الذكر في هذا النسك.

وكثرة الذكر للحاجّ أحفظ لحجّه، وأسلم للسانه من كثرة القيل والقال، وفضول الحديث، وإذا انشغل الحاجُّ به سلّم من سقطات اللسان وتبعاتها، وعوفي من آثام الكلام.



الحج وعبودية الذكر



ولئن تكاسل الحاجُّ عن كثرة الذكر، فلا أقلَّ من المحافظة
على الذكر بعد الصلاة، وأذكار الصباح والمساء، وأذكار النوم،
وأذكار المناسبات، ونحوها من الأذكار المؤقتة، ولعلَّ الحجَّ
يكون فرصة وسبيلًا للتعودِّ عليه، والإكثار منه على الدوام، فيفوز
الحجَّاجُ بصفة الذاكرين الله كثيرًا والذاكرات.

